مدرسة الامام الصادق (ع) للوحدة الاسلامية في عهد التفرقة



عمّت ميادين الحياة مظاهر الفساد والانحراف في عصر الإمام الصادق (ع) و ان قيم الجاهلية قد عادت تظهر للوجود ، وأنّ الصيغ الغريبة عن الدين أخذت تدخل في فهم القرآن والسنة الشريفة، وتسبّبت في تغيير مضمون الرسالة وجوهرها ،أخذ يزداد تفاقماً في أواخر العهد الاُموي، الذي نمت فيه مدارسٌ فكريةٌ وتياراتٌ سياسيةٌ بعيدةٌ عن الإسلام .

و راى الإمام الصادق (ع) ما يصيب الدين الإسلامي من وهن وتشويه وانتهاك هو بعدهم عن الاسلام المحمدي الاصيل و قام بدعوت الناس الى التعاليم الاسلامية الاصيلة و للتقريب المذاهب انبرى لفتح مدرسته

الوحدوية يدعو فيها الى العودة الى الاصول الاسلامية و السنة النبوية الشريفة .

إنّنا الان نعيش في مرحلةٍ يواجَهُ المسلمون بالحروب الثقافية والإعلامية، وعلينا أن نعمل لنقدّم تراث أهل البيت(ع) الحضاريّ، ليعرف العالم أصالة الإسلام من خلال هذا التّراث، انطلاقاً من كتاب ا، وسنّة نبيه، وكلمات عليّ في نهج البلاغة، وكلمات الأئمة من أهل البيت(ع).

لذلك، علينا أن ندرس كلّ تراث الإمام الصادق(ع) الذي تحدّث عن كلّ ما يفيد الناس ويرفع مستواهم، فهكذا تكون الموالاة، لأنّ الموالاة لأئمّة أهل البيت(ع) لا تكون بأن نتذكّرهم على أساس استحضار مآسيهم فحسب، بل أن نعمل على استحضار علومهم، وقد جاء عنه(ع): «أحيوا أمرنا رحم ا من أحيا أمرنا»، قيل: كيف نحيي أمركم؟ قال(ع): «يتعلّم علومنا ويعلّمها النّاس، فإنّ النّاس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا»، أن تنقلوا تراثنا وعلومنا وأساليبنا الحضارية الإنسانية للنّاس كلّهم، وبذلك يمكن للتشيع أن ينطلق ليكون حركةً حضاريةً منفتحةً على الإنسان والعالم كلّه، حركةً تؤكّد الحرية والعزّة والعلم والمعرفة والقوّة.

بمناسبة شهادة الامام الصادق عليه السلام نتطرق الى مواقفه الوحدوية و التقريبية ومراعاته للنقاط المشتركة وللمصلحة الاسلامية العليا ؛ و للجمع الشمل الامة الاسلامية فقد كان الامام جعفر الصادق (ع) يحث أنصاره واتباعه على المشاركة في صلاة الجماعة والجمعة التي تقام من قبل الولاة حفظاً على الالفة والاخوة وتحقيقاً للوحدة في أحد مجالاتها وهي ممارسة العبادة جماعة.

وقال الامام الصادق عليه السلام: "اوصيكم بتقوى ا عزّ وجلّ والورع في دينكم

والاجتهاد وصدق الحديث واداء الامانة...

صلوا عشائركم

واشهدوا جنائزهم

وعودوا مرضاهم،

وأدّوا حقوقهم،

فانّ الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدّى الأمانة وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفري فيفرّحني ذلك ويدخل عليّ منه السرور وقيل، هذا ادب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره وقيل: هذا ادب جعفر..".

ونهى الامام الصادق عليه السلام عن التعصّب لأنه أحد أهم أسباب وعوامل التشاجر والتناحر والاختلاف والفرقة بين المسلمين لأنه يمنع من اللقاء والاجتماع في النقاط المشتركة وفي الآفاق العليا.

قال عليه السلام: "من تعصّب أو تعصّ ِب له، فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه".

وقال عليه السلام: "من تعصّب عصّبه ا بعصابة من نار".

ودعى الإمام الصادق عليه السلام إلى اصلاح العلاقات بين الناس والتقريب بينهم، ليكونوا أخوة متآزرين متعاونين فقال:"صدقة يحبها ا إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا".

ووجّه الانظار إلى الموازين السليمة في التقويم والتقديم، والقائمة على أساس القرب من ا تعالى، وهي أهم ميزان للعلاقات.

وفي هذا الصدد قال عليه السلام:" من أوثق عرى الإيمان أن تحبّ في ا وتبغض في ا وتعطي في ا، وتمنع في ا".

فقد قدّم الامام الصادق عليه السلام، الحبّ في ا والبغض في ا على جميع الوان ومجالات الحب والبغض القائمة على أساس الانتماء والولاء للعشيرة أو الوطن أو اللغة أو المذهب، لأنها انتماءات وولاءات ثانوية، لا تصح ان تكون بذاتها محببة بل بدرجة تأثيرها الايجابي الواقع ضمن قاعدة الحب في ا والبغض في ا.

و مدرسة الامام الصادق (ع) الإسلامية العلمية العقلانية الموضوعيّ َة الواسعة، اتّسعت لتشمل الجميع، فلم تضق بأحد.

فقد عمل الإمام(ع) في تلك المرحلة على الدعوة إلى الإسلام، وعلى تثقيف الناس وتصحيح المفاهيم التي طرأ عليها الانحراف من هنا وهناك، وعلى توجيه المجتمع الإسلامي إلى المنهج الأخلاقي الذي لم يترك (ع) أيّ موقع من مواقعه إلا وتحدّ َث عنه ووجّه الناس إليه.

وهكذا كانت أحاديث الإمام الصّ َادق(ع) العميقة التي ركّ َزت القواعد الفكرية العقيدية لهذه الفلسفة

الإسلامية، وكان(ع) يوجّه الناس إلى أن يأخذوا بمنطق العقل، وأن لا يسقطوا أمام موقع العاطفة، لأنّ العاطفة لا ضوابط لها، فقد تنفتح على هوى النفس وشهواتها، وعلى ما يحيط بها من حالات طارئة هنا وهناك، أما العقل، فله قواعده ومعادلاته وعمقه، وقد جعل الله تعالى العقل حجّةً بينه وبين عباده، ودعا الناس إلى أن يخضعوا له، لما يمثّله من طاقة قدسية في تكوين الإنسان، وقد جاء في الحديث، أن العقل هو الذي يتلقى الأوامر من الله ليوجّه الناس إلى الالتزام بها، ويتلقى النواهي منه ليوجّههم إلى الابتعاد عنها، وليرتفع بالإنسان، إذا كان يملك قوة العقل، للحصول على الثواب في عمله.

و التذكير باثار و تعليمات الائمة(عليهم السلام) لاسيما الامام الصادق(ع) في هذا الزمن يؤتي اتجاها للمسلمين كيف كانوا امة واحدة مع اختلاف توجهاتهم الفكرية وتنوع مدارسهم الفقهية ولكن غايتهم واحدة وهدفهم واحد ومقصدهم واحد وبالتالي فاذا تعددت الطرق والسبل فان الغاية توصل الى الاهداف والهدف الواحد المشترك وبالتالي نقول ان وحدتنا في هذا الزمان متوقفة على قراءة النموذج الجامع ومعرفة القدوة التي تستطيع ان تستوعب كل الاطياف ويقرأ في كل حالة كيف يمكن ان يكون المؤمن في علاقة مع الرب صافي النية وفي علاقته مع الناس حسن المعاملة وهذا هو المقصود والمطلوب في كل لقاءات الوحدة الاسلامية لان المسأله ليست هي مسألة تخلي عن الآراء والافكار بصالح اي طرف من الاطراف بل الغاية اننا جميعا نعمل نحو هدف مشترك و يجمعنا المشتركات : التوحيد كلمة لااله الا الله و الرسالة النبوية و القبلة الواحدة وان تعددت وسائلنا وسبلنا وان تنوعت الطرق الموصلة الى هذا الهدف والنموذج الامثل هو الامام جعفر الصادق(ع).
و السلام عليك ياصادقا مصدّقا في القول والفعل ورحمة الله وبركاته.

و قد رثى الشاعر جابر الكاظمي الامام جعفر الصادق (ع) راثياً :

قتلوا أصدق مَنْ فوق الثرى ***** بذعافِ السّمّ في الأحشاء سارا

صَدَق الحزنُ بفقدِ الصادق ***** فقدُهُ أورى شِغافَ القلبِ نارا

لهفَ نفسي كيف يُعفى قبرُه ***** وهو حصنٌ وبه الكونُ استجارا

قَذِيَت عينٌ إذا لم تبكِهِ ***** بَدَلَ الدمع دماً ليلَ نهارا

إننا نرتقبُ اليوم الذي ***** يطلب الموعودُ للصادق ثارا

ثمّ يدعو يا لثارات الحسين ***** لدماءٍ سُفكتْ منه جُبارا

ناحروه وبه لم يحفظوا ***** لرسولِ ا قَدراً ووقارا